

# السجل العلمي

## لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره العلمية والدعوية

المجلد ١٣

الأربعاء والخميس  
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١



(13)  
جهود العلامة السعدي في الرد على المخالفين  
الملاحظة أنموذجاً  
أ.د. علي بن عمر السحيباني

الرعاية

مصرف الإنماء  
alinma bank



جهود العلامة عبد الرحمن السعدي  
في الرد على المخالفين (الملاحدة أنموذجاً)  
(ورقة عمل)

أ.د. علي بن عمر بن محمد السحيباني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
جامعة القصيم

## المقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

**وبعد:**

فإنه مما لا شك فيه أن هناك طرقاً وأبواباً عديدة للدعوة إلى عقيدة السلف؛ فكل يسلك الطريق الذي ييسره الله له؛ إلا أن الله قد بارك لبعض خلقه، فاستعملهم في نشر العقيدة الصحيحة، ويسر لهم كل الطرق وفتح لهم جميع الأبواب.

وكان من هؤلاء؛ العلامة عبد الرحمن السعدي الذي بارك الله له؛ فلم يترك الشيخ طريقاً يوصل إلى المعتقد الصافي إلا سلكه.

ومن أبرز الطرق التي سلكتها الشيخ والأبواب التي فتحتها في نشر دعوته لعقيدة السلف هو التصدي بالرد على المخالفين لمعتقد أهل السنة، وذلك بدحض شبههم وإبطال حججهم.

وإبرازاً لهذا المسلك الهام الذي سلكه الشيخ ضمن جهوده لنشر عقيدة السلف أذكر بعضاً من ردوده لشبهات الملاحدة كنموذج لهذا المسلك.

ولبيان جهود الشيخ عملت وفق الخطة التالية:

**المبحث الأول: الرد على المخالف، وفيه:**

- أهمية الرد على المخالفين.

- أقسام الناس في الرد على المخالف.

- المبحث الثاني: جهود الشيخ ابن سعدي في الرد على الإلحاد، وفيه:
  - نماذج عامة من جهود الشيخ في التصدي للإلحاد.
  - سبب الإلحاد، ودواعي انتشاره.
  - الوقاية من خطر الإلحاد.
  - الإلحاد المعاصر.
  - رد المذهب الإلحادي، والمنهج العام للشيخ في بيان ذلك.
- المبحث الثالث: مصنفات الشيخ في مناقشة الملحدين ومنهجه في الرد عليهم:
  - وقفات مع رسالة: "تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله".
  - وقفات مع رسالة "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين".
  - وقفات مع رسالة "انتصار الحق".
  - الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- وقبل أن أنهي هذه المقدمة أتقدم بأزكى الشكر وأطيبه لجامعتنا المباركة، على ما تقدمه من عونٍ وجهدٍ في سبيلِ نشرِ العلمِ والمعرفة، وأخصُّ بالشكرِ والتقديرِ القائمين على هذا المؤتمر جزاء ما يبذلونه من جهودٍ مباركةٍ آتت ثماراً يانعة، للتعريف بهذا الإمام وجهوده للأمة فجزاهم الله خيرَ الجزاء.
- هذا وأسألُ الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، كما أسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يوفقنا جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يعيننا جميعاً على ما قصدنا من خدمة الدين والعلم بهذا المؤتمر، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول: الرد على المخالف؛

### أهمية الرد على المخالفين.

إن مناظرة المخالفين والرد عليهم من الأصول العظيمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ومعلوم أن هذا أصل مهم، وبه حُفظت بيضة السنة، وكان -بعد توفيق الله- درعاً متيناً تكسرت عليه رماح المبتدعة وسهامهم المغرضة، حتى كان بعض السلف يُعرض نفسه للقتل لعدم تركه الرد على المخالف.

قال ابن طاهر المقدسي الحافظ: سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول: "عُرِضْتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عن خالفك، فأقول: لا أسكت"<sup>(١)</sup>.

### أقسام الناس في الرد على المخالف.

وقد كثر اليوم الخوض في مسألة الرد على المخالف، وصار الناس في هذه المسألة وأشباهها من المسائل الشرعية إلى ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط. فقسم غالب: ما إن يرَ من طائفة أو فرد -كائناً من كان- بدعة أو مخالفة، إلا وينتصب للرد عليه وإيقاع أحكام المبتدعة والضالين على ذلك المخطئ، متدرعاً بمقالات السلف في الرد على المخالف وعقوبته وزجره، دون مراعاة للشروط والضوابط الشرعية، بل ربما اشتط وزاد على ذلك بإغلاق باب الاجتهاد، ومنع التقليد لغيره في ذلك، وصار يوالي ويعادي على قوله، فيجره ذلك إلى مفاسد أعظم من مفسدة الخطأ والبدعة التي تصدى لإنكارها، كإحداث الفرقة بين أهل السنة، والتنفير منهم، ونشر الضغائن والأحقاد بين المتتبعين للعلم، وغير ذلك.

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٠٧).

وقسم ثانٍ: لا يقل خطراً عن الأول: تجافى عن العمل بهذا الأصل العظيم والجهاد الكبير، وعمما يترتب عليه من العقوبات الشرعية للمخالفين بحجة جهاد الكفار، ووحدة صف المسلمين، وترك الاختلاف والتفرق وغير ذلك، فأدى ذلك إلى مفسدة أكبر مما خاف من وقوعه، كانتشار البدع، وظهور رؤوس الفرق، ورواجهم بين عامة أهل السنة، واختلاط السنة بالبدع ومحدثات الأمور، وغير ذلك.

وهذان القسمان: قال في شأنهما ابن تيمية: "قد يبغى بعض المستنة - يعني أهل السنة - إما على بعضهم، وإما على نوع من المبتدعة، بزيادة على ما أمر الله به، وهو الإسراف، المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾<sup>(١)</sup> ويلزاء هذا العدوان تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق، أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في هذه الأمور كلها، فما أحسن ما قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظفر غلواً أو تقصيراً<sup>(٢)</sup>.

وقسم ثالث: هم الوسط: آمنوا بمشروعية الرد على المخالف وضرورة القيام به، لكن بفقهاء وعلم وحكمة، وفق أحكامه وضوابطه الشرعية وهؤلاء هم أتباع سنة النبي ﷺ، والسلف الصالح حقاً<sup>(٣)</sup>.

وكان من هذا القسم في هذه العصور المتأخرة؛ الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي، الذي اتبع منهج الله المتمثل في كتابه وسنة نبيه ﷺ، ملتزماً في ذلك نهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) الفتاوى (١٤/٤٨٣).

(٢) ينظر: مقدمة كتاب شذور ولطائف في آداب الرد على المخالف لحمد بن عبد العزيز ابن عتيق.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في شرحه لحديث: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>: «يدخل في ذلك التفقه في العقائد، ومعرفة مذهب السلف فيها، والتحقق به ظاهرا وباطنا، ومعرفة مذاهب المخالفين، وبيان مخالفتها للكتاب والسنة»<sup>(٢)</sup>.  
وفي هذا البحث المختصر أعرض ما تيسر من جهود الشيخ ومنهجه في ردوده على المخالفين من خلال رده على الملاحظة خصوصا، مستلهماً ذلك من بعض كتابته ورسائله.

(١) البخاري (١٠٣٧).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص: ٢٢).

## المبحث الثاني: جهود الشيخ ابن سعدي في الرد على الإلحاد.

### نماذج عامة من جهود الشيخ في التصدي للإلحاد.

إن الناظر في كتب ورسائل العلامة عبد الرحمن السعدي يجد أنه كان حريصاً كل الحرص على منازلة أهل الإلحاد؛ فكلما سنحت له فرصة في الرد عليهم انتهزها ووجه إليهم ردوداً تقضي على ما يبثونه من شبهات، وما ينطقون به من ضلالات. وفيما يلي استعراض بعض النماذج من ردود الشيخ على الإلحاد، والملحدين، وهي قليلة من كثير؛ توضح للقارئ كم كان الشيخ غيوراً على دينه، بصيراً بمواضع الخطر، قوياً في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، حريصاً على الدعوة لله تعالى، ناصحاً للإسلام وأهله.

مع ما تميز به الشيخ السعدي رحمه الله بإدراك الواقع من حوله، وكان شأنه كشأن الربانيين من العلماء يستشعر الخطر الزاحف على أمة الإسلام ويعلم من أي الأبواب يأتي الخطر، وما ذلك إلا لسعة اطلاعه وفهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولاقتفائه أثر العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا سيما شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

وبهذا الإدراك استشعر الشيخ قدوم الإلحاد غازياً أفكار المسلمين وأراضيهم. يقول الشيخ رحمه الله: «نبغت في هذه الأزمان المتأخرة فرقة خبيثة زنادقة أنكروا جميع ما جاءت به الرسل، وأنكروا وجود الباري، ولم يثبتوا من العلوم إلا العلوم الطبيعية التي وصلت إليها معارفهم القاصرة، فبناء على هذا المذهب الذي هو أبعد المذاهب عن الحقيقة شرعاً وعقلاً أنكروا آدم وحواء، وما ذكره الله ورسوله عنهما، وزعموا أن هذا الإنسان كان حيواناً قرداً، أو شبيهاً بالقرد، حتى



ارتقى إلى هذه الحال الموجودة، وهؤلاء اغتروا بنظرياتهم الخاطئة المبنية على ظنون عقول من أصلها فاسدة، وتركوا لأجلها جميع العلوم الصحيحة، خصوصاً ما جاءتهم به الرسل، وصدق عليهم قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [غافر: ٨٣]، وهؤلاء أمرهم ظاهر لجميع المسلمين، ولجميع المثبتين وجود الباري، يعلمون أنهم أضل الطوائف، ولكن تسرب على بعض المسلمين من هذا المذهب الدهري بعض الآثار والفروع المبنية على هذا القول<sup>(١)</sup>.

- سبب الإلحاد، ودواعي انتشاره:

قرر الشيخ في كثير من المواضع أن سبب الإلحاد هو اتباع العقل وإعماله فيما لا اختصاص له فيه، وبين أن العقول قاصرة وغير مؤهلة لاكتشاف جميع العلل والحكم للكون وحوادثه، وأن العقول مهما نضجت لا بد لها من الزلل والاضطراب في ظل بعدها عن خالقها.

يقول الشيخ رحمه الله: «إن ملاحدة الفلاسفة المعطلين لله ولكتبه ورسوله، المكذبين لهم أوقعتهم عقولهم الفاسدة في الهلاك، حيث حكموها في البحث عن علة إيجاد هذا الكون فلم تهتد لذلك لقصورها وتقصيرها، فزعم كثير منهم أن هذا العالم قديم، وأنه لم يزل ولا يزال؛ وبذلك أنكروا وجود الرب العظيم. ومن باب أولى أنكروا رسوله، وكتبه وتضاربت نظرياتهم الفاسدة فضلوا وأضلوا. ولقد صدق عليهم قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣] ثم إن هؤلاء الفلاسفة الملاحدة في هذه الأوقات أبطلوا بأنفسهم نظرية أسلافهم وأحدثوا لهم نظريات متعددة متضاربة،

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/١٧٨).

مبنية على الخرص، والجهل المركب ولم يزلوا في اضطراب. وهذه حالة كل من ترك الحق واستكبر عنه وتاه بعقله، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق: ٥]»<sup>(١)</sup>.

- أما عن دواعي انتشار الإلحاد.

يقرر الشيخ أن سبب انتشار الإلحاد هو كثرة الفتن في آخر الزمان، وإقبال الناس على الدنيا وزهدهم في العلم والتفقه في الدين، وارتباطهم بالمادة، وكذلك وقوعهم في الشهوات المحرمة، وملابستهم الشبهات بغير علم.

يقول الشيخ رحمه الله: «فإنه ﷺ أخبر، أنه في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه، ويكثر الشر وأسبابه، وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقل القليل، وهذا القليل في حالة شدة ومشقة عظيمة، كحالة القابض على الجمر، من قوة المعارضين، وكثرة الفتن المضلة، فتن الشبهات والشكوك والإلحاد، وفتن الشهوات وانصراف الخلق إلى الدنيا وانهماكهم فيها، ظاهراً وباطناً، وضعف الإيمان، وشدة التفرد؛ لقلة المعين والمساعد؛ ولكن المتمسك بدينه، القائم بدفع هذه المعارضات والعوائق التي لا يصمد لها إلا أهل البصيرة واليقين، وأهل الإيمان المتين، من أفضل الخلق، وأرفعهم عند الله درجة، وأعظمهم عنده قدراً.

وأما الإرشاد، فإنه إرشاد لأمته، أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة، وأن يعرفوا أنه لا بد منها، وأن من اقتحم هذه العقبات، وصبر على دينه وإيمانه - مع هذه المعارضات - فإن له عند الله أعلى الدرجات، وسعيه مولاة على ما يحبه ويرضاه؛ فإن المعونة على قدر المؤنة.

وما أشبه زماننا هذا بهذا الوصف، الذي ذكره ﷺ، فإنه ما بقي من الإسلام إلا

(١) الدرر البهية شرح القصيدة الثانية في حل المشكلة القدرية (ص: ٤٨-٤٩).

اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، إيمان ضعيف، وقلوب متفرقة، وحكومات متشتتة، وعداوات وبغضاء باعدت بين المسلمين، وأعداء ظاهرون وباطنون، يعملون سرا وعلنا للقضاء على الدين، وإلحاد وماديات، جرفت بخبيث تيارها وأمواجها المتلاطمة الشيوخ والشبان، ودعايات إلى فساد الأخلاق، والقضاء على بقية الرممق، ثم إقبال الناس على زخارف الدنيا بحيث أصبحت هي مبلغ علمهم، وأكبر همهم، ولها يرضون ويغضبون، ودعاية خبيثة للتزهيد في الآخرة، والإقبال بالكلية على تعمير الدنيا، وتدمير الدين، واحتقاره والاستهزاء بأهله، وبكل ما ينسب إليه، وفخر وفخفة، واستكبار بالمدينيات المبنية على الإلحاد التي آثارها وشرها وشرورها قد شاهده العباد. فمع هذه الشرور المتراكمة، والأمواج المتلاطمة، والمزعجات الملمة، والفتن الحاضرة والمستقبلة المدلهمة - مع هذه الأمور وغيرها - تجد مصداق هذا الحديث. ولكن مع ذلك، فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا يئأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصورا على الأسباب الظاهرة. بل يكون ملتفتا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب، الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعد الذي لا يخلفه، بأنه سيجعل له بعد عسر يسرا، وأن الفرج مع الكرب، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات، وحلول المنغصات. فالمؤمن من يقول في هذه الأحوال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» و«حسبنا الله ونعم الوكيل. على الله توكلنا. اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى. وأنت المستعان. وبك المستغاث. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ويقوم بما يقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة. ويقنع باليسير، إذا لم يمكن الكثير. وبزوال بعض الشر وتخفيفه، إذا تعذر غير ذلك ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٤] ”(١).

(١) بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص: ٢٢٠-٢٢١).

## - الوقاية من خطر الإلحاد:

أكد الشيخ أن أهم الأسباب التي تقي المسلم من ولوج باب الإلحاد هو حراسة الخواطر والأفكار عن الاسترسال مع العقل فيما يلقيه الشيطان في النفس، وما يتعرض له الإنسان من شبهات، وأن الأمر يحتاج إلى الاستعاذة بالله والاستعانة به، ثم الانتهاء والتوقف عن ذلك، لأن العقل له حد معين لا يتعداه ولا يتخطاه.

يقول الشيخ رحمه الله في شرحه لحديث «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، وليتبه»<sup>(١)</sup>: «احتوى هذا الحديث على أنه لا بد أن يلقي الشيطان هذا الإيراد الباطل: إما وسوسة محضة، أو على لسان شياطين الإنس وملاحتهم، وقد وقع كما أخبر، فإن الأمرين وقعا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم بصيرة هذا السؤال الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يلقون هذه الشبهة التي هي أبطل الشبه، ويتكلمون عن العلل وعن مواد العلم بكلام سخيف معروف.

وقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم إلى دفع هذا السؤال بأمر ثلاثة: بالانتهاء، والتعوذ من الشيطان، وبالإيمان.

أما الانتهاء - وهو الأمر الأول -: فإن الله تعالى جعل للأفكار والعقول حدا تنتهي إليه، ولا تتجاوزه. ويستحيل لو حاولت مجاوزته أن تستطيع، لأنه محال، ومحاولة المحال من الباطل والسفه، ومن أمحل المحال التسلسل في المؤثرين والفاعلين. فإن المخلوقات لها ابتداء، ولها انتهاء. وقد تتسلسل في كثير من أمورها حتى تنتهي إلى الله الذي أوجدها وأوجد ما فيها من الصفات والمواد والعناصر ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْتَمَنَّ﴾ فإذا وصلت العقول إلى الله تعالى وقفت وانتهت، فإنه الأول

(١) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء. فأوليته تعالى لا مبتدأ لها مهما فرضت الأزمان والأحوال. وهو الذي أوجد الأزمان والأحوال والعقول التي هي بعض قوى الإنسان. فكيف يحاول العقل أن يتشبه في إيراد هذا السؤال الباطل؟ فالفرض عليه المحتم في هذه الحال: الوقوف، والانتهاه.

الأمر الثاني: التعوذ بالله من الشيطان، فإن هذا من وساوسه وإلقائه في القلوب؛ ليشكك الناس في الإيمان بربهم، فعلى العبد إذا وجد ذلك: أن يستعيذ بالله منه، فمن تعوذ بالله بصدق وقوة أعاده الله وطرد عنه الشيطان، واضمحلت وساوسه الباطلة. الأمر الثالث: أن يدفعه بما يضاده من الإيمان بالله ورسله، فإن الله ورسله أخبروا بأنه تعالى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه تعالى المتفرد بالوحدانية، وبالخلق والإيجاد للموجودات السابقة واللاحقة.

فهذا الإيمان الصحيح الصادق اليقيني يدفع جميع ما يضاده من الشبه المنافية له، فإن الحق يدفع الباطل. والشكوك لا تعارض اليقين.

فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ تبطل هذه الشبه التي لا تزال على ألسنة الملاحدة، يلقونها بعبارات متنوعة، فأمر بالانتهاه الذي يبطل التسلسل الباطل، وبالتعوذ من الشيطان الذي هو الملقى لهذه الشبهة، وبالإيمان الصحيح الذي يدفع كل ما يضاده من الباطل، والحمد لله، فبالانتهاه: قطع الشر مباشرة، وبالاستعاذة: قطع السبب الداعي إلى الشر. وبالإيمان اللجأ والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني الذي يدفع كل معارض.

وهذه الأمور الثلاثة هي جماع الأسباب الدافعة لكل شبهة تعارض الإيمان. فينبغي العناية بها في كل ما عرض للإيمان من شبهة واشتباه يدفعه العبد مباشرة بالبراهين الدالة على إبطاله، وبإثبات ضده وهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال،

وبالتعوذ بالله من الشيطان الذي يدفع إلى القلوب فتن الشبهات، وفتن الشهوات، ليزلزل إيمانهم، ويوقعهم بأنواع المعاصي. فبالصبر واليقين ينال العبد السلامة من فتن الشهوات، ومن فتن الشبهات. والله هو الموفق الحافظ»<sup>(١)</sup>.

### - الإلحاد المعاصر:

لعله لم ينتشر الإلحاد في زمن من الأزمنة انتشاره في هذا الزمان الذي تيسرت فيها وسائل التواصل بين الشعوب والأفراد وتمكن الجميع من بث أفكاره ونشرها، وقد بين الشيخ رحمه الله أن الملحدين في هذا العصر روجوا للإلحاد بصورة تبدو مقبولة لدى المتلقين لسموهم.

يقول الشيخ رحمه الله: «وقد عرف هؤلاء الأعداء المتأخرون مكابرة إخوانهم الذين باشروا تكذيب الرسول، ورأوا أن مقالتهم قد بطلت واطمحت، وبان زورها لكل أحد، صاغها هؤلاء المكذبون بعبارة موهوماً وظنوا أنها بهذا التمويه تروج، فزعموا - وما أسمعجه وأكذبه من زعم - أن محمداً كان يتعلم من نفسه؛ وأنه كان يخلو بالطبيعة؛ السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم، فيعطيها لبه، ويناجيها بقلبه، فيخيل إليه أصناف التخاييل، فيأتي بها إلى الناس زاعماً أنها من وحي الله على يد جبريل، وأن هذه التخيلات من الأمور العالية التي يعتاد الإتيان بها أهل الرأي والحجى. ولما رأوا آثارها الجليلة في الإسلام وأهله، وتعاليمه وتقويمه للأمم، وبهرهم هذا النور العظيم لجأوا إلى هذا التحذلق الذي منتهاه وغايته أنهم صوروا النبي ﷺ ورقوه إلى رجل من الطبيعيين، كما قال هذا القول الباطل أحد ملاحدة الإفرنسيين، وتلقاها عنه بعض الملاحدة العصريين، وهو مبني على إنكار وجود رب العالمين، وأنه ما ثم إلا عمل الطبيعة، وقد علم الناس أن هذا القول المزور

(١) بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص: ٢٧-٢٨).

أعظم مكابرة ومباهمة من قول الأولين، وأن هذا الافتراء الذي ولدوه بعد مئات السنين أوضح ضلالاً وظلماً وجراًة ووقاحة من زور الأولين، وأن هؤلاء الأراذل الذين أعجبوا بآرائهم وتاهوا بعقولهم قد بين الله كذبهم فيما قالوه، وأن عقولا ولدت هذه الأقوال المؤتفكة والخيالات الفاسدة والمقالات الفاسدة لعقول سافلة وآراء ساقطة، يعرف فسادها بتنتاجها ومكابرتها، وإنكارها أجلى الحقائق، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفرقان: ٦]؛ فالرب القادر العظيم، الذي أحاط علمه بجميع الأسرار، وعلم أحوال العباد حاضرها ومستقبلها، فأنزله لهدايتهم، وجعله منارا وعلما يهتدي به المهتدون في كل وقت وحين. فجميع الحقائق التي دعا إليها هذا الرسول وهذا القرآن حقائق ثابتة نافعة للعباد، لا يأتي من الحقائق ما يغيرها، ومحال أن يأتي شيء أصلح منها أو مثلها أو يقار بها: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، ومن كمال علمه وقدرته أنه لو تقول عليه أحد بمثل هذه المقالة لعاجله بالعقوبة، فلما أيد من جاء بها بنصره وحججه، ورأى العباد آياته في الآفاق وفي أنفسهم، التي يتبين بها أنه الحق، وما سواه ضلال، علم بذلك أن هذا الرسول أصدق الخلق وأنصحهم وأبرهم وأعلمهم وأخشاهم وأتقاهم لربه، وأن أعداءه المكذبين له أكذب الخلق وأغشهم، وأعظمهم جهلاً وضلالاً وغياً وفساداً في كل زمان ومكان<sup>(١)</sup>.

- رد المذهب الإلحادي، والمنهج العام للشيخ في بيان ذلك:

لما كان أهل الإلحاد منكرين لوجود الحق سبحانه ولا يؤمنون بكتابه ولا بسنة رسوله ﷺ، كان لزاماً ألا يحتج عليهم أحد بقول الله ولا بقول رسوله ﷺ، وقد انتهج الشيخ رحمه الله هذا المنهج، فناقش الملحدين من منطلق العقل والمنطق، واحتج عليهم بما لا يستطيع عقل سليم أن ينكره.

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/٣٦-٣٧).

يقول الشيخ رحمه الله: «فوجود جميع الأشياء في العالم العلوي والسفلي وبقاؤها وما هي عليه من الأوصاف المتنوعة، كل ذلك من الأدلة والبراهين على وجود مبدعها ومعدّها وممدّها بكل ما تحتاج إليه، ومن أنكر هذا فقد باهت وكابر وأنكر أجلى الأمور وأعظم الحقائق. ومن هاهنا تعلم أن الماديين الملحدين أضل الخلق وأجهلهم وأعظمهم غرورا واغترارا حيث اغتروا حين وقفوا على بعض علوم الكون الأرضي المادي الطبيعي، وفتت عقولهم القاصرة عندها، واستولت عليهم الحيرة وتكبروا بمعارفهم الضئيلة وقالوا: ثبت ما وصلت إليه معارفنا ونفي ما سواه، فتعرف بهذا أن نفيهم هذا جهل وباطل باتفاق العقلاء، فإن من نفي ما لا يعرفه فقد برهن على كذبه وافتراءه، فكما أن من أثبت شيئا بلا علم فهو ضال غاو، فكذلك من نفي شيئا بلا علم، وتعرف أيضا أن إثباتهم لعلوم الطبيعة التي عرفوها وانتهت إليها معارفهم أن هذا الإثبات منهم قاصر لم يصلوا إلى غايته وحقيقته، فلم يصلوا بذلك إلى خالق الطبيعة ومبدعها، ولم يعرفوا المقصود من نظامها وسببيتها؛ بل عرفوا ظاهرا منها وهم عن النافع غافلون، فأثبتوا بعض السبب وعموا عن المقصود، وهم في علمهم هذا حائرون، لا تثبت لهم قدم على أمر من الأمور، ولا تثبت لهم نظرية صحيحة مستقيمة، فهم دائما في خلط وخبط وتناقض، وكلما جاءهم من البراهين الحق ما يبطل قولهم قالوا: هذا من فلتات الطبيعة، وكلما برز مبرز من فحولهم وأذكيائهم ابتكر له طريقة غير طريقة إخوانه؛ فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ [ق: ٥] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ يَأْتِينَهُمْ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣] والمقصود أن هذا الأصل العظيم قد دلت عليه جميع الأدلة بأجناسها وأنواعها، ودل عليه الشرع المحكم والقدر العام المنظم، ولم يقدر فيه إلا هؤلاء الضلال الذين كان قدحهم فيه أسقط اعتبارهم، وبرهن على فساد عقولهم<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير السعدي (١/ ٣٤٠-٣٤٢).



### المبحث الثالث: مصنفاً الشيخ في مناقشة الملحدين ومنهجه في الرد عليهم:

لم يقتصر دور العلامة عبد الرحمن السعدي في التصدي للإلحاد وأهله على مجرد ردود متفرقة في مؤلفاته وكتابه المختلفة، حيث كان رحمه الله يعلم - بما حباه الله من بصيرة - مدى هذا الخطر الزاحف إلى ديار المسلمين، وأنه يشبه المرض الخبيث الذي يداهم صاحبه دون أن تظهر له أي أعراض ظاهرة حتى يتمكن من القضاء عليه.

ومن منطلق هذه البصيرة أفرد الشيخ هذا الموضوع بالتصنيف؛ لينبه من ناحية على هذا الخطر المتسلل من الخارج إلى عقر ديار المسلمين، ومن ناحية أخرى ينصح من ابتلاهم الله بهذا الداء العضال بسرعة الفيء والتوبة، وثالثاً ليحذر أبناء المسلمين أن يتسلل الشك إلى عقولهم فيجد الإلحاد طريقاً سهلاً لاختراق قلوبهم. وقد صنف الشيخ ثلاثة كتب - فيما وقفت عليه - تتناول الرد على الملحدين، وهدم أصولهم، وهي:

- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.

- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.

- انتصار الحق.

وفيما يلي وقفة سريعة مع كل رسالة من هذه الثلاث حتى نتعرف على ما بذله الشيخ من جهود في هذا الأمر العظيم، والمنهج الذي اتبعه في الرد على دعاة الإلحاد وقفات مع رسالة: «تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله». تعد هذه الرسالة نموذجاً عملياً يجسد شخصية الشيخ في ميدان الرد على المخالفين، وتبين مدى غيرته على الدين، ومقدار نصحه للإسلام وأهله، وقوته

في الحق، ورسوخه في العلم، وبيان حجته، كل ذلك مع سهولة العرض، وجزالة الأسلوب، ووضوح العبارة، ودقة المعاني، وإسهاب الرد.

وفيما يلي استعراض أهم العناصر التي اشتملت عليها هذه الرسالة.

- سبب تصنيف هذه الرسالة:

من منهج الشيخ رحمه الله في الرد على المخالف أن يبين سبب الرد وأن الأمر لا يعدو النصح لله وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو شعار دين الإسلام الحنيف. ولا يغفل حق المخالف من ذكر محاسنه والثناء عليه إن وجد إلى ذلك سبيلاً.

يقول الشيخ رحمه الله: «إني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي، سمّاه: (هذه هي الأغلال)؛ فإذا هو محتو على نبذ الدين، والدعاية إلى نبذه والانحلال عنه من كل وجه، وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروف بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة، فلم يرع الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً..... فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه»<sup>(١)</sup>.

- نظرة إجمالية في كتاب القصيمي:

ومن منهج الشيخ رحمه الله أن يتكلم عن منهج المخالف على وجه الإجمال قبل التصدي والرد المفصل على بدعه وافترائه.

(١) تنزيه الدين (ص: ٣-٤).

قال رحمه الله: «من نظر في كتاب القصيمي وتأمله حق تأمله؛ عرف أنه ما كُتِب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفراً منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل، ولا افترى مفتر على الدين كافترائه، ولا حرف أحد له نظير تحريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته؛ فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابدته ومناقفته ثلاثة لا تبقى من الشر شيئاً إلا تضمنته؛ فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية، وخروج تام عن عقائده وأصوله؛ فضلاً عن فروعه، وهو أكبر دعاية للإلحاد، ومقاومة للدين وأهله، وفيه من البهرجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾... إلخ»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله: «... وهذا القصيمي يقول: ما هي إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم وتدبره وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة وأنكر قضاء الله وقدره ورجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة وهذا إنكار منه الله ولأفعاله ولصفاته، وكما أنكر توحيد الربوبية، فقد أنكر توحيد الإلهية والعبادة ولم يرتض بما قاله المشركون، بل أنكر عبادة الله بالكلية، وأنكر الافتقار إليه وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم، وملاً كتابه من السخرية بهم، وكما أنكر الربوبية والألوهية والرسالة إذ فسرهما بذلك التفسير الخبيث الذي يرجع إلى نفي الرسالة، فقد أنكر عقوبات الله ومثوباته الدنيوية والأخروية، وأنكر أسبابها وسخر بالمؤمنين بها، وكذلك رمى جميع طبقات الأمة وخص منهم العلماء الأعلام وهداة الأنام بضعف العلم والعقل والرأي، وأوجب الكفر بهم وبعلموهم وبما قالوه وصنفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع، وجعلهم مجرمين يستحقون

(١) تنزيه الدين (ص: ٦).

العقوبة وأهدر فضائلهم بالكلية، وأكبر من ذلك وأطم أنه باهت وصرح بتحقيق الأنبياء تحقيقاً لم يصل إليه ملحد، إذ صرح بأن جميع الرسل والأنبياء والهداة من أتباعهم لم ينفعوا الناس في الحياة بشيء من النفع، ولم يقدرُوا أن يصيروا فيها مخلوقات متألفة لهم فضائل يهتدي بها، وكما رمى الأنبياء وأهل الأديان الصحيحة كلهم، ولم يستثن منهم أحداً فإنه عظم زنادقة الملحدين الأولين منهم والآخرين وأوجب الأخذ عنهم والحدو على منوالهم... إلخ»<sup>(١)</sup>.

- إشارة لطيفة إلى محاسن الإسلام:

عقد الشيخ رحمه الله قبل الرد على القصيمي وإبطال زعمه فصلاً تكلم فيه عن محاسن الإسلام وأنه دين شامخ لا تتأثر أصوله بحقد الحاقدين ولا بشبه المبطلين. فقال رحمه الله: «ولما كان هذا الكتاب - يعني أغلال القصيمي - موجهاً إلى قلب الدين وروحه، وإلى هدم علومه وأصوله وقواعده وجميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله على أعظم الحقائق وأجلها وأنفعها وعلى البراهين الساطعة والأنوار المتألثة؛ يدفع ويبطل كل ما يقوم في وجهه الشبهات ويقاومه من الأقوال الباطلة؛ أحببت أن أشير إشارة لطيفة قبل إبطال قول هذا الكتاب إلى بعض محاسن هذا الدين وأنه لا سبيل لأحد من الخلق أن يعطل شيئاً من أصوله وقواعده وأسس، وأن هذا الدين العظيم تزول السموات والأرض والجبال وأصوله راسيات وقواعده ثابتات وأنواره مشرقة وبراهينه للباطل محرقة، فهو الميزان الأعظم الذي توزن به الأمور العقلية والأمور الدنيوية وأبين عند ذلك منافتها لقول هذا الكتاب... إلخ»<sup>(٢)</sup>.

(١) نفس المصدر (ص: ٧-٨).

(٢) تنزيه الدين (ص: ٩).

## دعاء الشيخ للقصيبي:

ثم استهل الشيخ رده على القصيبي بكلمة تدل على مدى إنصافه رحمه الله وأن الغاية من الرد هي الدفاع عن الدين ليس غير، وأنه ليس بينه وبين أحد أي عداوات إلا ما يوجهه الدين، ثم ختم كلمته بدعاء للقصيبي أن يرده الله للحق.

فقال رحمه الله: «ونحن نكتب ما يجب علينا كتابته من ردا اعتداءاته على الدين، والتنبيه على بطلانها، كما هو الواجب المتعين على كل مسلم، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالتوبة، والتنصل ونقض ما كتبه واجترأ عليه»<sup>(١)</sup>.

## الأصلان اللذان بنى عليهما القصيبي باطله:

ومن منهجه رحمه الله أن يؤصل منهج المخالف ويجمع شتات قوله تحت أصول عامة يسهل الرد عليها؛ لذلك شرع في بيان الأصلين اللذين بنى عليهما القصيبي بحوثه الباطلة:

فقال رحمه الله: «واعلم أن مدار ما بنى عليه بحوثه الباطلة واحتج لها وبرهن عليها؛ أمران:

أحدها: أن المسلمين في هذه الأوقات الأخيرة متأخرون عن غيرهم في الفنون العصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة بأنواعها.

الثاني: أن غيرهم في هذه الأمور مهروا في هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار. ثم بنى على هذين الأمرين جميع بحوثه الباطلة ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال»<sup>(٢)</sup>.

(١) نفس المصدر (ص: ٩).

(٢) تنزيه الدين (ص: ٩-١٠).

## بداية الرد على ضلالات القصيبي:

### الرد على إنكار القصيبي للقضاء والقدر:

ومن منهجه رحمه الله في رده على المخالف أن يبدأ بقضايا الإيمان؛ الأهم فالمهم، فبعد رده على المخالف إجمالاً وعلى وجه العموم بدأ يرد على أمهات قضايا الإيمان.

قال الشيخ رحمه الله: «... هذا الكاتب الذي يقول إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين ويضعفهم وأنه يجب عليهم ترك ذلك وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر كما صرح بذلك في صفحات (١٧)، (٢٩)، (٢٦٨)، (٣١٥) من كتابه، ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقة المتبعين لإرشادات دينهم وتعاليمه هم المتوكلون على الله حقيقة، وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب امثالاً لأمر ربهم وطلباً لمصالحهم واستمداداً من قوته وارتقاباً لثوابه، وأن الدين الإسلامي يبطل الطريقتين الذميين:

- طريق العجز والضعف الذي يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله وإنما هو مهين ساقط الهمة معترذ بما لا يعذره به.

- وطريق الملحدين المعطلين الذين يعتمدون على الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بمنعها ولا له قدرة على معارضتها كما قرره صاحب هذا الكتاب في ثنايا كتابه خصوصاً في الفصل الأخير المعنون ب (مشكلة لم تحل)... إلخ»<sup>(١)</sup>.

### الرد على إنكاره الثواب والعقاب:

قال الشيخ رحمه الله: «وقد سلك أيضاً مسلك الدهريين الذين يقولون {ماهي

(١) تنزيه الدين (ص: ١٢).

إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا؛ المنكرين للثواب والعقاب؛ حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبب للثواب العاجل والآجل، وأن الكفر والفسوق والعصيان أسباب للعقوبات العاجلة والآجلة، وتهكم بذلك وبالقائلين به المعتقدين له، كما صرح به وردده في الصفحات (٣٥)، (١٦٥)، (١٧٨)، (٣١٥)، (٣١٩)، (٣٢٥)، والسبب الوحيد عنده في المصائب الدنيوية وضدها إنما هي الأسباب المادية فقط، وعمل الطبيعة... إلخ»<sup>(١)</sup>.

الرد على زعمه أن علماء المسلمين سلفا وخلفا لم يفهموا الدين:

قال الشيخ رحمه الله: «وزعم من بهرجه التي لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين وأنه مستحيل أن يسعوا في مصالحهم، وغير ممكن لهم ذلك إلا بنبذه وأنه قيود تمنع التقدم كما صرح بذلك في صفحات (١٧)، (٣٦)، (٦٧)، (٦٨)، (٧٧)، (٩٧)، (١٤٠)، (٣١٥)، من كتابه، وهذه دسيسة خبيثة، فإن كل أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم أن هذه المباحث التي اشتمل عليها كتابه منافية للدين بالكلية، ومناقضة له من كل وجه، ولكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول: ليس دين الإسلام ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم، وإنما هو شيء آخر مجهول عندهم، وقد علمه هذا الكاتب وهو ما أراده وسعى إليه من معانقة دين الملحدين ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين... إلخ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تنزيه الدين (ص: ١٢-١٣).

(٢) تنزيه الدين (ص: ١٦).

## الرد على زعمه أن الدين قيود وأغلال:

قال الشيخ رحمه الله: «وزعم هذا الكاتب أن التقييد بالإيمان بالله وبما أخبر الله به على ألسنة رسله قيد وغل يحول بين الإنسان وبين المطالب العالية النافعة، ويقيده عن عبادة الطبيعة التي هي الغاية عند أمثال هؤلاء، فيحق لمن كان هذا منتهى مراده وطلبه أن يكون أول من يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ أَلْتَارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ وفي قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا ﴿٨﴾﴾ إلى آخر الآيات، ثم إن هؤلاء المنحرفين الملحدين الذين انخدع هذا الكاتب بدعايتهم الخبيثة يدعون إلى نبذ كل قديم واعتناق كل جديد، وقد أبدى هذا الكاتب في هذا وأعاد وكرر ذلك؛ يريدنا بهدم القديم هدم أصول الدين وقواعده، كما تجده في صفحات (١٦)، (٣٧)، (٦٤)، (٦٩)، (٧٠)، (٩٦)، (١٦٠)، (٣٠٢)، من كتابه، وغيرها من الصفحات وهذه الدعاية الخبيثة مقصودها الأعظم وأساسها الذي بنيت عليه رفض الشرائع والأديان، والانحلال من قيود الدين وحله وتحريمه وجميع أحكامه، والانخراط في سلك المعطلين لرب العالمين المنحلين من جميع شرائع الدين، وأول ما يُدخلون في هذا الأصل الباطل رفض ما جاء به الرسول ﷺ من أصول وأخلاق وأعمال وغيرها، وتوصلوا بهذا إلى الطعن في خير القرون وإهدار أقوالهم وعقائدهم وعلومهم، بل وجميع محاسنهم والحمل على حملة الشريعة وأئمة الهدى ومصابيح الدجى.... الخ»<sup>(١)</sup>.

الرد على زعمه أن المسلمين يطلبون الفقر والضعف ويحثون عليه:

قال الشيخ رحمه الله: «ومن تمويهاته الشنيعة التي يريد بها محاربة الدين وأهله

(١) تنزيه الدين (ص: ٢٠-٢١).



أن يزعم أن المسلمين يحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب ويطلبونها ويسعون في تحصيلها بكل طريق، ويسخر منهم ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر والأمراض وأنواع المصائب كما صرح بذلك في الصفحات (١٢٦)، (١٤٠)، (٣١٩)، وكذلك جميع النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة، وهذا من باب قلب الحقائق فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامي، حيث أرشد أهله إلى التربية العالية التي هي أنفع التربيّات وأجلها وأكثرها آثاراً حميدة فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في فصل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن التي لا بد للخلق كلهم منها في هذه الدار وذكر فضائل الصابرين وما لهم عند الله من الثواب، وذلك ليوطنوا أنفسهم على تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى وفقر، ومن يسر إلى عسر، ومن بأساء إلى خير وسراء، ومن عافية إلى مرض، ويعلمهم كيف يتقبلون هذه الأمور اللازمة للبشر في أطوار حياتهم... إلخ»<sup>(١)</sup>.

الرد على زعمه أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق:

قال الشيخ رحمه الله: «ومن مباحث هذا الكتاب الضارة التي بلغت في الفظاعة وبلغت في الخلاعة مبلغاً ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحد له أدنى عقل وبصيرة من الأولين والآخرين ما يبيده ويعيده ويكرره أن الإنسانية لا تزال في تطورها وترقيها حتى تصل إلى الاتصاف بصفات الرب العظيم - إن كان يثبت بلفظه - فالإنسان بزعمه يمكنه أن يكون بكل شيء عليمًا، وعلى كل شيء قديراً، وأنه قد علم ما كان في أول الموجودات وما يكون من آخرها، وأنه علم مبدأ هذه الخليفة، وخلف علوم الرسل خلف ظهره، وهو يحاول علم ما سيكون في هذا العالم؛ بل علم مقدار ما بقي من عمر هذا العالم، وقد علم حالة العالم السفلي وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوي، وصنع الصور والأجسام وهو يحاول أن ينفخ فيها الروح؛ فهو لا يستبعد

(١) تنزيه الدين (ص: ٢٤ - ٢٥).

إيجاده للحيوان الصناعي والإنسان الصناعي؛ غير مبال بتكذيبه لله ورسله؛ فقد زعم أنه قد يتمكن أن يُوجد الحيوانات، ويزعم أن التفريق بين الخالق والمخلوق أكبر الأغلاط، وأنه يجب أن لا نفرق بين الرب العظيم وبين الإنسان وأن من فرق بينهما فلجهله وضلاله وغلطه؛ كما صرح بذلك في هذه الصفحات من كتابه المذكور (٣٨)، (٥٨)، (٦٧)، (٧٠)، (٧٧)، (٧٨)، (٩٧)، فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع - وهو تضليله للمفرقين بين الله وبين خلقه - كل رسول أرسله الله إلى الخلق وفي مقدمتهم محمد ﷺ فضلاً عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى؛ فإن زبدة ما جاءت به الكتب السماوية والرسل العظام هو توحيد الباري واعتقاد انفراده بجميع معاني الكمال المطلق الذي لا تدركه العبارات ولا تتصوره الأفكار... إلخ»<sup>(١)</sup>.

الرد على زعمه أن إثبات وجود الرب مشكلة لا حل لها:

قال الشيخ رحمه الله: «ثم انظر إلى المبحث الأخير من كتابه الذي عنوانه: (المشكلة التي لم تحل) في صفحة (٣١٥)، وما بعدها إلى آخر كتابه؛ كيف أتى فيه بالطامات والفظائع وأنكر المنكرات، وكيف حاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيته وأفعاله من أشكال المشكلات، وهي أصل الأمور وأوضحها وأجلاها براهين، ثم صرح بهذه الجراءة التي ما وصل إليها أحد من البشر إلا فرعون وأشباهه الذين أنكروا رب العالمين ووجدوه بالكلية، وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة فجميع الكتب المنزلة من الله؛ التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وجميع ما قالته الرسل عموماً وقاله سيدهم وإمامهم خصوصاً وجميع العلماء الربانيين والهداة المهتدين والحكماء والأساطين؛ الجميع عنده لم يعرفوا الإيمان بالله ولم يحلوا هذه المشكلة التي زعمها فبقيت عند هؤلاء مشكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد عند هذا الكاتب.... إلخ».

(١) تنزيه الدين (ص: ٣٠ - ٣١).

## وقفات مع رسالة «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين».

وهي رسالة صغيرة اعتنى فيها الشيخ بالرد على الملاحدة المنكرين لوجود الله عز وجل، وكان أكثر عنايته في هذه الرسالة بنقض أصل فاسد أصله معلمهم الأول «أرسطو»، وقد نقض الشيخ هذا الأصل، وبين بطلانه من ثلاثة وثمانين وجهاً. وهذه الرسالة مع أنها صغيرة الحجم فإنها عظيمة النفع لما اشتملت عليه من ردود رصينة وقوية تكشف بطلان دعوى هؤلاء الملاحدة الكفرة. وقد فرغ الشيخ ابن سعدي من تأليف هذه الرسالة في ١٤ رجب سنة ١٣٧٢هـ<sup>(١)</sup>.

### منهج الشيخ في هذه الرسالة :

بين الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة أن الأصول التي بنى عليها الملاحدة بنيانهم ترجع إلى أصل واحد فاسد؛ فقال: «وأعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول أرسطو اليوناني المعروف بالإلحاد والجحد لرب العالمين والكفر به، وهو: «أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه»، وكملاوا هذا الأصل الخبيث بحصرهم للمعلومات بالمحسوسات، وما سوى ما أدركوه بحواسهم نفوه»<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر الشيخ أنه سيقوم بالرد على هذا الأصل من خلال كلام شيخ الإسلام أولاً، ثم يتم هو من كلامه ما تيسر معللاً ذلك بقوله: «إنه - أي شيخ الإسلام - بين عدة وجوه في فسادها وبطلانها، وكل وجه منها كاف في إبطالها؛ فكيف إذا اجتمعت

(١) ينظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، (ص: ٤٤).

(٢) الأدلة القواطع (ص: ٤).

فنقل كلامه عليها ثم نتم ذلك بما يسره الله<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر الشيخ خمسة أوجه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد هو عليها ثمانية وسبعين وجهاً، يتخلل بعضها كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية، فكان حاصل هذه الأوجه ثلاثة وثمانين وجهاً.

وكانت هذه الأوجه بمجموعها تمثل جبهة قوية لضرب أصول الإلحاد في كل زمان ومكان، ولا غنى لأهل العلم عن دراستها والنظر فيها، ولا غنى كذلك للعامة عن دراستها وفهمها على يد الناصحين من أهل العلم وطلبته.

ذكر بعض الأوجه التي ذكرها الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة رداً على

الملاحدة:

- اضطرار الناس إلى الرسل والرسالات:

قال رحمه الله في الوجه السابع: «فإن الإنسان خلق ظلوماً جهولاً ليس فيه هدى، ولا علم صحيح، ولا برهان ويقين في المطالب العالية المقصودة، إلا من جهة الطرق التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولهذا كانت النبوة والرسالة يضطر إليها المكلفون أعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب، وما به من قوام حياتهم المادية؛ فالعلم والهدى الإجمالي والتفصيلي هو هدى الله، فلا يليق برحمة الله وحكمته وحمده أن يترك العباد مهملين سدى بلا رسالة وتعريف لهم ما يصلحهم حالاً ومآلاً؛ فأرسل الرسل وأنزل الكتب حكمة منه ورحمة، ﴿لِيُنذِرَ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ آلِهَةٍ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فجميع الهدى والعلوم النافعة الموجودة في الأرض، والمعارف النافعة،

(١) المصدر السابق.

والإيمان الصحيح، وتوابع ذلك من آثار النبوة والرسالة»<sup>(١)</sup>.

### - حقيقة قول الملاحدة؛

قال رحمه الله في الوجه الحادي عشر: «إن هؤلاء - يعني الملاحدة - يعاندون الله ورسوله أعظم معاندة فالله يقول: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الصحيح أنه قال لمن قال له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؛ قال: "قل: آمنت بالله، ثم استقم"<sup>(٤)</sup> أي على الإيمان، وهؤلاء الملحدون يقولون: امحوا هذه الأصول والعقائد - التي لا أصح منها ولا أنفع ولا يسعد العبد غيرها - من قلوبكم وشكروا لتستحدثوا علوماً وعقائد جديدة، تجيش بها القلوب المنحرفة والآراء الفاسدة والضمائر التي أعرضت عن الحق وعارضته وتوجهت إلى الباطل، وهذا لا ريب أنه مشاقة ومحاربة لله ورسوله»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأدلة القواطع (ص: ٧).

(٢) مسلم (٣٨).

(٣) الأدلة القواطع (ص: ١٠).

## تناقض الملحدين:

قال رحمه الله في الوجه الثالث عشر: «أن المقصود الأعظم من هذا الأصل الخبيث<sup>(١)</sup> الكفر بما جاءت به الرسل والانحلال عنه، وإلا فأهله من أكذب الناس؛ فإنهم متمسكون غاية التمسك بما عليه أئمتهم الملحدون، وأقوالهم وعقائدهم مقدمة عندهم على ما جاءت به الرسل، ويتعصبون لها غاية التعصب؛ فلو كانوا صادقين محقين لوجب عليهم أن يمحووا من قلوبهم أقوال أئمتهم وعقائدهم التي مازالوا متمسكين بها ومقلدين لها تقليداً أعمى، فالغرض من كلامهم معروف، وهو قصدهم الانحلال من الدين الصحيح والتمسك بأقوال هؤلاء الضالين»<sup>(٢)</sup>.

ماذا لو عمل الناس بأصل الملاحدة؟:

قال رحمه الله في الوجه الخامس عشر: «لو فرض وقدر أن الإنسان يمحو من قلبه كل عقيدة ويصير القلب خالياً من الحق والباطل ثم يزن بعقله المستقيم العقائد الصحيحة النافعة التي جاءت بها الرسل بما يضاهاها من العقائد الأخرى، ويزنها بحق وعدل وإنصاف وفهم صحيح فإنه يظهر له الفرق العظيم، ويتضح له أن من سؤى بين ما جاءت به الرسل وبين غيره كالمسوّي بين الليل والنهار والضياء والظلمة، فكيف بمن فضل الإلحاد على دين رب العباد فإن الحق بطبيعته وبراهينه يمحق الباطل ولا يبقى له معه قرار»<sup>(٣)</sup>.

(١) يعني قولهم «أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه».

(٢) الأدلة القواطع (ص: ١١).

(٣) الأدلة القواطع (ص: ١١).

### قول الملاحدة باطل شرعا وعقلا:

قال رحمه الله في الوجه العشرين: «هؤلاء الملحدون حصروا العلوم المدركة في دائرة ضيقة؛ فما أدركوه بحواسهم وتجاربهم أثبتوه، وما لم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه؛ فأنكروا من أجل ذلك علوم الغيب كلها، وجحدوا ربوبية الله وأفعاله، وعطلوه من صفاته وأفعاله، إذ لم يدخل ذلك تحت مداركهم القاصرة، وهذا باطل شرعا وعقلا.

أما الشرع: فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل تبطل قولهم وحصروهم العلوم بمدركات الحس الظاهرة ونفيهم لما عداها، وتثبت بالبراهين اليقينية من علوم الغيب ومن العلوم التي لا تدرك إلا بالوحي من الحقائق النافعة الصحيحة والمعارف الصادقة ما لا نسبة لعلومهم كلها إليها من أولها إلى آخرها.... إلخ.

وأما العقل: فجميع العقلاء المعتبرين يشبتون للعلوم مدارك غير مدارك الحس، فإن مدارك العلوم: الحس، والعقل، والأخبار الصادقة؛ فالأخبار الصادقة أعلاها وأصدقها وأحقها بالحق خبر الله وخبر رسله، وفي ذلك تبيان لكل شيء، وهدى للخلائق، وتوضيح للحقائق، وتنبيه للعقول على توجيهها لكل علم نافع، ويلزم على قول هؤلاء الملحدين إبطال ذلك كله حتى يدركوه بحواسهم، وهذا ميراث محقق من مكذبي الرسل؛ الذين ردوا ما جاءت به الرسل بمجرد استبعادات، ونكروا ما لم يحيطوا به علما، وهم لا يزالون ينقضون دليلهم الذي تمسكوا به فيشتون تجارب ونظريات أخرى لهم ولقومهم تنفي ما أثبتوه وتثبت ما نفوه ولا يزالون هكذا في أمر مريج حين كذبوا بالحق.

وقد ذكر الله الأسباب التي دعت أمثال هؤلاء إلى تكذيب الحق؛ وهو الجهل بما لم يحيطوا بعلمه، والتبجح بما عندهم من العلوم المخالفة لعلوم الرسل، والكبر

الذي في قلوبهم ما هم بالغيه، وتقليد أئمتهم الضالين؛ فضعف التمييز، وتقليد أئمة الملاحدة، والإعراض عما جاءت به الرسل من أكبر الأسباب التي مكنت هؤلاء من لزوم الباطل»<sup>(١)</sup>.

### المقارنة بين علوم الرسل وعلوم الملاحدة الماديين:

قال رحمه الله في الوجه الرابع والعشرين: «انظر على أحوال الرسل وأتباعهم كيف هدوا إلى كل عقيدة صالحة نافعة وإلى كل خلق جميل وعمل صالح؟ وكيف نهوا وحذروا عما يصاد ذلك ويناقضه، وكيف نشروا الصلاح والرحمة والحكمة على البلاد والعباد؟ وكيف تم بإرشادهم الصلاح الذي ليس بعده صلاح والسعادة العاجلة والآجلة والفلاح؟ فهل تجد علما نافعا أو خلقا فاضلا أو خيرا ناميا أو شرا مدفوعا أو ضارا مرفوعا؟ إلا بسبب الرسل وإرشادهم وهدايتهم وسعيهم.

أما هؤلاء الملحدون الماديون فعلى العكس من ذلك فإن آثار علومهم وأعمالهم هبّطت بالبشر والإنسانية إلى أسفل سافلين، وشقوا في دنياهم كما شقوا في دينهم وعقولهم، وهذه المخترعات التي تكبروا بها وطغوا وبغوا؛ هل توسلوا بها إلى الخير والحياة الطيبة والرحمة، أم صارت أكبر نكبة على البشر وأعظم مصيبة عليهم وعلى غيرهم؟ فأين الرشد وأين العقول وأين الأحلام الصحيحة من قوم هذا وصفهم، ووصف أعمالهم المطابق لأحوالهم الذي لا يمكن أحد إنكاره؟ ولكن الكبر والأشر والنظر القاصر والبهرجة روجت باطلهم فجرفت جمهور البشر الذين لا بصيرة لهم ولا عقول صحيحة، وإنما معهم التقليد الأعمى والزهور والغرور»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأدلة القواطع (ص: ١٥-١٦).

(٢) الأدلة القواطع (ص: ١٩).



## أصل بلاء الملحدين:

قال رحمه الله في الوجه الرابع والعشرين: «أصل بلاء المشركين والملحدين قياس الرب العظيم بالمخلوق الناقص الحقيق، ولم يعترفوا أن الله ليس كمثل شيء، وأن له المثل الأعلى في السموات والأرض، وأن له العظمة كلها والكبرياء كله والمجد والحمد والجلال، وأن ما للخلق من أولهم إلى آخرهم من قوة وعظمة وأوصاف فإنها تضمحل غاية الاضمحلال ولا يبقى لها نسبة بوجه من الوجوه إذا نسبت إلى عظمة الله وجلاله وكماله، وإلا فلو علموا أن الله تعالى هو الخالق لجميع الموجودات أعيانها وأوصافها وأفعالها ومن سواه مخلوق، وأنه مالك الملك المطلق ومن سواه عبد مملوك، وأنه العليم الذي أحاط علمه بكل شيء، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، العزيز الذي علا على كل شيء، وقهر المخلوقات كلها ودانت لعزته وقدرته، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، الحكيم في كل ما خلقه وحكم به شرعا وقدرًا وجزاء إلى آخر ما وصلت إليه معارف الرسل وأتباعهم من أوصافه فلا يحصي أحد ثناء عليه، لو علموا شيئًا من ذلك لعرفوا أن قولهم واعتقادهم أبطل الباطل وأشنع الكذب وأعظم الجراءة على الله والمكابرة لآياته وبراهينه التي خضعت لها الخليقة ﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّۙ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّاۤ اَسْبٰحُ بِحَمْدِهٖۙ وَلٰكِنْ لَا يَفْقَهُوْنَ تَسْبِيحَهُمْۗ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا عَفُوْرًا ﴿٤١﴾﴾ ﴿اِنْ كُلُّ مِّنۡ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّاۤ اٰتٰى الرَّحْمٰنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ اَخَصَصْنٰهُمْ وَعَدَدْنٰهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْۙ اٰتٰىهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾ فهو لاء الملحدون لما لم تصل معارفهم الضئيلة إلى شيء من ذلك وحصرها في بعض الأسباب ولم ترتق إلى مسبب الأسباب، ولم يصلوا من المخلوقات إلى خالقها، ظنوا أن ما وصلوا إليه هو غاية العلم ونهاية المعرفة جهلا وضلالا، ومنهم من كان كذلك ظلما وعنادا، فيا

أيها المؤمن بالله احمد الله على هذه النعمة التي هي أكبر النعم والسلامة من عقوبة الإلحاد التي هي أكبر النقم<sup>(١)</sup>.

- الحيرة والشك هما حصاد الملاحظة:

قال رحمه الله في الوجه الأخير (الثالث والثمانين): «قد تقرر مما تقدم أن أهل الجحود والإلحاد لم يصلوا في علومهم إلا إلى جهل مركب أو جهل بسيط، أو جحود مع العناد، لأن رؤساءهم وأساطينهم أهل الذكاء والفطنة الذين أفنوا أوقاتهم في هذه البحوث لم يصلوا إلى يقين تطمئن له قلوبهم، بل إما إلى حيرة وارتباب، وإما إلى اختلاف كثير واضطراب، وإما إلى مكابرة من هؤلاء الأحزاب، كما عرف ذلك من مقالاتهم؛ فإذا كان هؤلاء هم الرؤساء فكيف بمقلديهم الذين لم يبلغوا عشر معشارهم في الذكاء والفطنة والبحث، فهم كما قال عنهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَمَكْرِكِ بَقِيْعَةٍ﴾ إلى آخر الآيات، والمؤمنون بالله وكتبه ورسله على نور من ربهم ويقين من إيمانهم حيث بنوا علومهم ومعارفهم وإيمانهم وأعمالهم على الأصول الصحيحة الثابتة، وهي نصوص الكتب المنزلة ونصوص الأنبياء وآيات الله في الأنفس والآفاق والعقول السليمة والفطر المستقيمة، ففازوا بخير الدنيا والآخرة، ورجع الآخرون بالصفقة الخاسرة<sup>(٢)</sup>».

ثم ختم الشيخ رسالته بدعاء جامع. سائلاً الله أن يرزقنا علماً ويقيناً وإيماناً وطمأنينة به وبذكره وسلوكاً للصراط المستقيم المشتمل على العلم بالحق والعمل به الموصل إلى كل خير والأليزغ قلوبنا بعد إزهدانا، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

(١) الأدلة القواطع (ص: ٢٩-٣٠).

(٢) الأدلة القواطع (ص: ٨٥-٨٦).

## وقفات مع رسالة «انتصار الحق»:

ومن بديع ما كتب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي ضمن جهوده في التصدي للإلحاد وأهله رسالة بعنوان «انتصار الحق» وهي عبارة عن مناظرة لطيفة بين رجلين مسلمين يشتغلان بطلب العلم؛ أحدهما تسلل إليه الإلحاد من جراء انبهاره بالحضارات الغربية، والآخر متمسك بعقيدته لا يعتريه شك ولا يجتاحه وساوس.

فجاءت هذه المناظرة بديعة في أسلوبها وعميقة فيما ترمي إليه من معاني وأهداف، وقد كانت هذه المحاوراة في أصلها مقالات نشرت في أعداد من مجلة المنهل (عام ١٣٦٧هـ)، حتى جمعها الأستاذ الدكتور عبد الله الطيار في رسالة لطيفة وطبعت لأول مرة بتاريخ (٤/٤/١٤١٢هـ)، وكتب في مقدمتها: «... وهذه المحاوراة التي بين أيدينا تمثل نمطاً جديداً من الكتابة طرّفه ابنُ سعدي قبل ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وهذه المحاوراة اللطيفة الهادئة جمعت بين قوة الحجّة ووضوح المحجّة وسلامة المنهج، وبعد النظر، والبحث عن الأسباب وعلاجها ثم الوصول إلى الثمرة المرجوة، كل ذلك في صفحاتٍ يسيرةٍ لا تتجاوزُ العشرين صفحة»<sup>(١)</sup>.

### منهج الشيخ في رسالته «انتصار الحق»:

قال الشيخ رحمه الله في المقدمة موضحاً منهجه في رسالته: «هذه صورة محاوراة بين رجلين كانا متصاحبين رقيقين مسلمين، يدينان بالدين الحق، ويشتغلان في طلب العلم جميعاً، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا، فإذا هذا الغائب قد تغيرت أحواله وتبدلت أخلاقه، فسأله صاحبه عن ذلك، فإذا هو قد تغلّبت عليه دعاية الملحدين الذين يدعون لنبذ الدين ورفض ما جاء به المرسلون؛ فحاوره

(١) مقدمة الطبعة الأولى من انتصار الحق (ص: ١-٢).

صاحبه لعله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب فأعيته الحيلة في ذلك، وعرف أن ذلك علة عظيمة ومرض يفتقر إلى استئصال الداء ومعالجته بأنفع الدواء وعرف أن ذلك متوقف على معرفة الأسباب التي حولته والطرق التي أوصلته إلى الحالة المخيفة وإلى فحصها وتمحيصها وتخليصها وتوضيحها، ومقابلتها بما يضاؤها ويقمعها على وجه الحكمة والسداد»<sup>(١)</sup>.

### ملخص المناظرة البليغة :

- سؤال من المسلم لصديقه الملحد عن سبب إلحاده:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه - مستكشفاً له عن الحامل له على ذلك-: يا أخي، ما هذه الأسباب التي حملتك على ما أرى؟ وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه؟ فإن كان خيراً كنتُ أنا وأنت شريكين، وإن كان غير ذلك فأعرف من عقلك ودينك وأدبك أنني وأنت لا ترضى أن تقيم على ما يضرك»<sup>(٢)</sup>.

- احتجاج الملحد بضعف المسلمين وقوة الكفار:

يقول الشيخ رحمه الله: «فأجابه صاحبه قائلاً: لا أكتمك أني قد رأيت المسلمين على حالة لا يرضاها ذوو الهمم العالية؛ رأيتهم في جهل وذل وخمول، وأمورهم مدبرة، وفي الجانب الآخر هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة وتفننوا في الفنون الراقية والمخترعات العجيبة المدهشة والصناعات المتفوقة، رأيتهم قد دانت لهم الأمم، وخضعت لهوم الرقاب، وصاروا يتحكمون في الأمم الضعيفة بما شاؤوا ويُعدونهم كالعبيد والأجراء، فرأيتُ فيهم العز الذي بهرني، والتفنن الذي أدهشني فقلتُ في نفسي: لولا أن هؤلاء القوم هم القوم، وأنهم على الحق والمسلمون على

(١) انتصار الحق (ص: ٨).

(٢) انتصار الحق (ص: ١٠).

الباطل لما كانوا على هذا الوصف الذي ذكرت لك . فرأيتُ أن سلوكي سبيلهم  
واقترائي بهم خير لي وأحسنُ عاقبة، فهذا الذي صيرني إلى ما رأيت»<sup>(١)</sup>.

رد المسلم الناصح على شبهة صديقه الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه حين أبدى ما كان خافياً: إذا كان  
هذا هو السب الذي حوَّلَكَ إلى ما أرى فهذا ليس من الأسباب التي يبني عليها  
أولوا الألباب والعقول عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم ومستقبل أمرهم، فاسمع يا  
صديقي تمحيص هذا الأمر الذي غرك وحقَّقته:

إن تأخر المسلمين فيما ذكرت ليس ناشئاً عن دينهم، فإنه قد علم كلُّ من له  
أدنى نظر وبصيرة أن دينَ الإسلام يدعو إلى الإصلاح والإصلاح في أمور الدين وفي  
أمور الدنيا، ويحث على الاستعداد من تعلم العلوم والفنون النافعة، ويدعو إلى  
تقوية القوة المعنوية والمادية لمقاومة الأعداء، والسلامة من شرهم وأضرارهم،  
ولم يستفد أحد منفعة دنيوية فضلاً عن المنافع الدينية إلا من هذا الدين، وهذه  
تعاليمه وإرشاداته قائمة لدينا تنادي أهلها: هلُم إلى الاشتغال بجميع الأسباب  
النافعة التي تعلِّمكم وترقيكم في دينكم ودُنْيَاكم؛ أفبتفريط المسلمين تحتجُّ على  
الدين؟! إن هذا لهو الظلمُ المبينُ!.

أليس من قصور النظر ومن الهوى والتعصب، النظر في أحوال المسلمين في  
هذه الحقبة من الزمن التي تدهورت فيها علومهم وأعمالهم وأخلاقهم، وفقدوا  
فيها جميع مقومات دينهم، وترك النظر إليهم في زهرة الإسلام والدين في الصدر  
الأول، حيث كانوا قائمين بالدين، مستقيمين على الدين، سالكين كل طريق يدعو  
إليه الدين، فارتقت أخلاقهم وأعمالهم حتى بلغت ما وصل إليه ولن يصل إليه

(١) انتصار الحق (ص: ١١).

أحد من الأولين والآخرين، ودانت لهم الدنيا من مشارقها إلى مغاربها وخضعت لهم أقوى الأمم وذلك بالدين الحق والعدل والحكمة والرحمة، وبالأوصاف الجميلة التي كانوا عليها؟! .... إلخ»<sup>(١)</sup>.

إصرار الملحده على مذهبه:

يقول الشيخ رحمه الله: فقال المنصوح: الأمر هو ما ذكرتُ لك، ونفسي تتوق إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وترقوا في هذه الحياة. نصيحة جديدة من المسلم لصديقه الملحده:

يقول الشيخ رحمه الله: فقال له صاحبه وهو يحاوره: رفضت دينا قيما كامل القواعد ثابت الأركان مشرق البرهان، يدعو إلى كل خير ويحث على السعادة والفلاح، ويقول لأهله هلم إلى كل صلاح وإصلاح، وإلى كل خير ونجاح، واسلكوا كل طريق يوصلكم إلى السعادة الدنيوية والأخروية. دينا مبنيا على الحضارة الراقية الصحيحة التي بنيت على العدل والتوحيد، وأسست على الرحمة والحكمة والعلم والشفقة وأداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وسلمت من الظلم والجشع والأخلاق السافلة، وشملت بظلمها الظليل وإحسانها الطويل وخيرها الشامل، وبهائها الكامل، ما بين المشارق والمغارب، وأقر بذلك الموافق والمنصف المخالف... أتتركها راغبا في حضارات ومدنيات مبنية على الكفر والإلحاد، مؤسسة على الظلم والجشع والقسوة وظلم العباد، فاقدة لروح الإيمان ورحمته، عادمة لنور العلم وحكمته حضارة ظاهرها مزخرف مزوق، وباطنها خراب، وتظنها تعمر الوجود، وهي في الحقيقة مآلها الهلاك، والتدمير؟ ألم تر آثارها في هذه الأوقات، وما احتوت عليه من الآفات والويلات، وما جلبته للخلائق من الهلاك والفناء والتدمير؟.....

(١) انتصار الحق (ص: ١١-١٥).

إلخ.

تردد الملحد بعد سماعه لنصيحة صديقه المسلم:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له المنصوح: لقد صدقتَ فيما قلتَ، ولكن لي على هذا المذهب أصحاب مثقفون، ولي على هذا الرأي شبيبة مهذبون، قد تعاقدت معهم على التمسك بالإلحاد واحتقار المستمسكين بدين رب العباد، قد أخذنا نصيباً وافراً من اللذات، واستبحنا ما تدعو إليه النفوس من أصناف الشهوات فأنى لي بمقاطعة هؤلاء السادة الغرر؟ وكيف لي بمباينتهم وقد اتصلت بهم غاية الاتصال؟! فالآن يتنازعني - بعدما بان سبيله واتضح دليله - داعيان: داعي الحق وداعي النفس والاتصال بهؤلاء الأصحاب المنافي للحق غاية المنافاة، فكيف الطريق الذي ينيرني ويشفيني، وما الذي عن هذا الأمر يسليني؟»<sup>(١)</sup>.

نصيحة جديدة من المسلم الناصح إلى صديقه الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه الناصح: ألم تعلم أن من أوجب الواجبات وأكبر فضائل الرجل اللبيب أن يتبع الحق الذي تبين له ويدع ما هو فيه من الباطل، وخصوصاً عند المنازعات النفسية والأغراض الدنيوية؟ وأن الموفق، إذا وقع في المهالك، طلب الوسيلة إلى تحصيل الأسباب المنجية؟ أما علمت أن من نعمة الله على العبد أن يقيض له الناصحين الذين يرشدونه إلى الخير ويأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر ويسعون في سعاده وفلاحه؟ ثم من تمام هذه النعمة أن يوفق لطاعتهم ولا يتشبه بمن قال الله فيهم: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ﴾ ثم اعلم أنه ربما كان الإنسان إذا ذاق مذهب المنحرفين وشاهد ما فيه من الغي والضلال ثم تراجع إلى الحق، الذي هو حبيب القلوب، كان أعظم لوقعه وأكبر لنفعه! فارجع

(١) انتصار الحق (ص: ١٥).

إلى الحق صادقاً وثق بوعد الله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(١)</sup>.

### الملحد يسأل عن كيفية رد الشبهات:

يقول الشيخ رحمه الله: فقال له المنصوح: «لا يخفى عليك يا أخي أن الباطل إذا دخل في القلوب وتمكن منها لا يخرج بسهولة، فأريد أن توضح لي توضيحاً تاماً بطلان ما عليه هؤلاء الملحدون فإنهم يقيمون الشبه المتنوعة في ترويح قلوبهم ليغتر به من لا بصيرة له»<sup>(٢)</sup>.

### إجابة شافية من المسلم:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له الناصح: اعلم أن الحق والباطل متقابلان، وأن الخير والشر متنافيان، وبمعرفة واحد من الضدين يظهر حسن الآخر أو قبحه، فأثبتك على وجه الإجمال والتنبيه اللطيف؛ إذا أردت أن تقابل بين الأشياء المتباينات؛ فانظر إلى أساسها الذي أسست عليه، وإلى قواعدها التي انبثت عليها، وانظر إلى آثارها ونتائجها وثمراتها المتفرعة عنها، وانظر إلى أدلتها وبراهينها التي بها ثبتت، وانظر إلى ما تحتوي وتشمل عليه من الصلاح والمنافع، ومن المفسد والمضار؛ فعند ذلك إذا نظرت لهذه الأمور بفهم صحيح وعقل رجيح، ظهر لك الأمر عياناً؛ فإذا عرفت هذه الأصول فهذا الدين الحق الذي دعت إليه الرسل عموماً وخاتمهم وإمامهم محمد ﷺ خصوصاً، قد بني وأسس على التوحيد والتأله لله وحده لا شريك، حبا وخوفاً، ورجاء، وإخلاصاً، وانقياداً، وإذاعاً لرؤيته، واستسلاماً لعبوديته، قد دل على هذا الأصل الذي هو أكبر جميع أصول الأدلة العقلية والفطرية، ودلت عليه جميع الكتب السماوية وقرره جميع الأنبياء

(١) انتصار الحق (ص: ١٨).

(٢) انتصار الحق (ص: ٢٠).



والمرسلين وأتباعهم من أهل العلوم الراسخة، والألباب الرزينة، والأخلاق العالية، والآداب السامية، كل أولئك اتفقوا على أن الله منفرد بالوحدانية، منعوت بكل صفة كمال، موصوف بغاية الجلال والعظمة والكبرياء والجمال، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وأنه منزه عن كل صفة نقص وعن مماثلة المخلوقين، وأنه لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر إلا هو؛ فالدين الإسلامي على هذا الأصل أُسِّس، وعليه قام واستقام.

وأما ما عليه أهل الإلحاد فإنه ينافي هذا الأصل غاية المنافاة فإنه مبني على إنكار الباري رأساً، فضلاً عن الاعتراف له بالكمال وعن القيام بأوجب الواجبات وأفرض الفروض وهو عبوديته وحده لا شريك له، فأهل هذا المذهب أعظم الخلق مكابرة وإنكاراً لأظهر الأشياء وأوضحها، فمن أنكر الله فبأي شيء يعترف؟ ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْنِيهِ يُؤْمِنُونَ﴾. وهؤلاء أبعُدُ الناس عن عبودية الله والإنابة إليه، وعن التخلق بالأخلاق الفاضلة التي تدعو إليها الشرائع، وتخضع لها العقول الصحيحة ومع خلو قلوبهم من توحيد الله والإيمان به وتوابع ذلك فهم أجهل الناس، وأقلهم بصيرة ومعرفة بشريعة الإسلام وأصول الدين وفروعه، فتجدهم يكتبون ويتكلمون ويدعون لأنفسهم من العلوم والمعرفة والثقافة واليقين ما لا يصل إليه أكابر العلماء.....

أما الأخلاق فلا تسأل عن أخلاق من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يعتقد الأديان الصحيحة، فإن الأخلاق نتائج الاعتقادات الصحيحة والفاصلة، فغاية ما عند هؤلاء التملُّقُ القولي والفعلي، والخضوع الكاذب للمخلوقين، وهم من هذا الخضوع السافل تجد عندهم من العُجب والكِبَر واحتقار الخلق والاستنكاف عن مخالطة من يستنقصونهم شيئاً كثيراً، فهم أوضع خلق الله وأعظمهم كِبَرًا وتيهاً.

ثم إنهم يستعينون على هذا الخلق المسمى عندهم بالثقافة بالتصنع والتجمل بالملابس، والفرش، والزخارف، ويفنون كثيراً من أوقاتهم بذلك وقلوبهم خراب

خالية من الهدى والأخلاق الجميلة، فالجمال الظاهر الباطل ماذا يغني عن الجمال الحقيقي؟ ثم إذا لحظت غاياتهم ومقاصدهم فإذا هي أغراض دنية ومقاصد سفلية ومطامع شخصية، وإذا سبرت أحوالهم رأيتهم إذا اجتمعوا تظنهم أصدقاء مجتمعين فإذا افترقوا فهم ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ سَتَّى﴾ ..... الخ<sup>(١)</sup>.

### الملحد يسأل عن سبيل النجاة :

يقول الشيخ رحمه الله: «قال المنصوح: والله ما تعديت في وصفهم مثقال ذرة، ولكنني أريد أن تدلني على طريق يجمع بين السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية، لأن نفوس من تربي وتخلق بأخلاق هؤلاء لا ترجع عما ألقته إلا بأمر قوي؛ إما بترغيب وهوى يجذبها، وإما بترهيب وخوف يقمعها»<sup>(٢)</sup>.

### إجابة المسلم على سؤال الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه الناصح: والله لقد أدركت في هذا الدين مطلوبك، وفيه والله كل مرادك ومرغوبك، فإنه الدين الذي جمع بين سعادة الدنيا والآخرة وفيه اللذات القلبية والروحية والجسدية، ولا تفقد من مطالب النفوس الحقيقية شيئاً إلا أدركته، ولا من أنواع المسرات شيئاً إلا حصلته، ففيه ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، وسأوضح لك ذلك.

### فاعلم أن أصول اللذات المطلوبة:

أولاً: راحة القلوب وسكونها وطمأنيتها، وفرحها وبهجتها وزوال هُمومها وغمومها.

ثانياً: القناعة والطمأنينة بما أوتيهِ العبد من المطالب الجسدية.

(١) انتصار الحق (ص: ١٨-٢٤).

(٢) انتصار الحق (ص: ٢٦).

ثالثاً: استعمال ذلك على وجوه يحصل به السرور والاعتباط.  
فهذه الأمور الثلاثة، من رزقها واستعملها على وجهها فقد نال كل ما تعلق به  
طمع الطامعين، فإن جميع اللذات ترجع إلى ما ذكرنا.  
- لذات القلوب:

فأما لذات القلوب وحصول سرورها وزوال كدرها فإنما أصل ذلك  
بالإيمان التام بما دعا الله عباده إلى الإيمان به من الإيمان بتوحيده بجميع نعوت  
الكمال وامتلاء القلوب من تعظيمه وجلاله ومن التأله له وعبوديته والإنابة إليه  
وإخلاص العمل الظاهر والباطن لوجهه الأعلى، وما يتبع ذلك من النصح لعباد  
الله ومحبة الخير لهم وبذل المقذور من نفعهم والإحسان إليهم والإكثار من ذكر  
الله والاستغفار والتوبة، فمن أوتي هذه الأمور فقد حصل لقلبه من الهداية والرحمة  
والنور والسرور وزوال الأكدار والهموم والغموم ما هو نموذج من نعيم الآخرة،  
وأهل هذا الشأن لا يغبطون أرباب الدنيا والملوك على لذاتهم ورياساتهم؛ بل يرون  
ما أعطوه من هذه الأمور يفوق ما أعطيه هؤلاء بأضعاف مضاعفة، وهذا النعيم  
القلبي لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه وجربه فإنه كما قيل:

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ نَعِيمِ الْقَوْمِ يَدْرِيهِ ... وَمَنْ ذَرَأَهُ غَدَا بِالرُّوحِ يَشْرِيهِ

فهذا إشارة لطريق هذا النعيم القلبي الذي هو أصل كل نعيم.

- القناعة والطمأنينة:

وأما الأمر الثاني فإن الله أعطى العباد القوة والصحة وما يتبع ذلك من مال  
وأهل ووليد وخول وغيرها. والناس بالنسبة لهذه الأشياء نوعان: قسم صارت  
هذه النعم في حقهم محناً ونقماً. وقسم صار في حقهم نعماً وخيرات ومنحاً، أما  
أهل الدين الحقيقي فقد قابلوا هذه النعم وتلقوها على وجوه الشكر لله والاعتباط

بفضله وتناولوها على وجه الاستعانة بها على طاعة المنعم وعلّموا أنها من أكبر الوسائل لهم إلى رضی ربهم وخيره وثوابه إذا استعملوها فيما هيئت له وخلقت لأجله وقد رضوا بها عن الله كل الرضا، فإنهم علّموا أنها من عند الله الذي له الحكمة التامة في جميع أفضيته وأقداره، وله الرحمة الواسعة في جميع تدابيرها، وله النعمة السابغة في كل عطايها وهو أرحم بهم من الخلق أجمعين فحيث علّموا العلم اليقيني صدورها ممن هذا شأنه قنعوا بما أعطوه منها، من قليل وكثير كل القناعة، وسكنت قلوبهم عن التطلع والتطلب لما لم يقدر لهم، ومتى حصلت الطمأنينة والقناعة والرضا عن الله بما أعطى فقد حصلت الحياة الطيبة، فإذا أدركت حق الإدراك نعتهم هذا عرفت أن نعيم الدنيا في الحقيقة هو نعيم القناعة برزق الله، وطمأنينة القلوب بذكر الله وطاعته، وأن الواحد من هؤلاء لو لم يكن عنده من هذه الأمور وهي القوة والصحة والمال والأهل والولد وتوابع ذلك القليل لكان في راحةٍ وسرورٍ من جهتين؛ جهة القناعة وعدم تطلع النفس وتشوقها للأمر التي تحصل، وجهة ما ترجوه من ثواب الله العاجل والآجل على هذه العبادة القلبية التي تزيد على كثير من العبادات البدنية، فإن التبعّد لله بمعرفة نعمه والاعتراف بها والرضا بها والرجاء لله أن يديمها ويتمها وأن يجعلها وسيلة إلى نعم أخرى وأن يجعلها طريقاً للسعادة الأبدية لا ريب أن هذه الأحوال القلبية من أفضل الطاعات وأجل القربات، فكم من فرق بين سرور هذا الذي تعبّد بروح الدين وحصلت له الحياة الطيبة، وبين من تلقى هذه النعم بالغفلة وعدم الاعتراف بنعمة المنعم وشقي بهمومها وغمومها، وكان إذا حصل له شيء من مطال النفوس لم يرض به بل تشوّق إلى غيره وتطلّع لسواه فهذا ينتقل من كدر إلى آخر، لأن قلبه قد تعلق تعلقاً شديداً بمطالب الجسد، فحيث جاءت على خلاف ما يؤمله ويُریده قلق أشد القلق، وهو لا يزال في قلق مستمر، لأن المطال النفسية متنوعة جداً، فلو وافقه واحد لم يوافقه

الآخر وربما اجتمع في الشيء الواحد سرور من وجهه، وحزن من وجه آخر فصفوه ممزوج بكدره وسروره مختلط بحزنه، فأين الحياة الطيبة لهذا؟! وإنما الحياة الطيبة لأرباب البصائر والحجى الذين يتلقونها كلها بالقبول والقناعة والرضا.

- جهة استعمال النعم:

وأما الأمر الثالث: وهو جهة استعمال هذه النعم، فصاحب الدين الصحيح يتناولها على وجه الشكر لله على نعمه والفرح بفضله، وينوى بها التقوي على ما خلق له من عبادة الله وطاعته، وينفقها مُحْتَسِبًا بها رضا الله وفضوله وخلفه العاجل والآجل، ويعلم أنه إذا أنفق على نفسه وأهله أو ولده أو من يتصل به فإنما نفقته صادفت محلها ووقعت موقعها فلم يتناقل كثرة النفقة في هذا الطريق لأن يُقول معتقدا: هذا أولى ما بذلت فيه مالي، وهذا ألزم ما قمت به من الواجبات والفروض، وهذا خير ما قمت به من المستحبات، وهذا أعظم ما أرجو له الخلف من الله حيث يقول وهو الكريم الوفي: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾، ولا يزال نصب عينيه احتساب الأجر في سعيه بكسبه وفي مصرفه أجناس ذلك وأنواعه وأفراده متفطنا لقوله: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في في امرأتك؛ فمن كان هذا وصفه فإن لذاته الدنيوية هي اللذات الحقيقية السالمة من الأكدار مع ما يرجو من الثواب العاجل والآجل من الله، ومن كانت هذه صفته سهل عليه الأخذ من جلها ووضعها في محلها ويسرت له أمره غاية التيسير. وأما من استعمل هذه النعم على وجه الشره والغفلة، ويفكر في الاعتراف بفضل الله في كل الأوقات وبنعم الله، ويفرح بالنعم لأنها من فضل الله بل فرح بها فقط لموافقة عرضه النفسي ولا نوى بها الاستعانة على طاعة الله، ولا احتسب في نيلها وصرفها على المنفق عليهم الأجر والثواب فمن كان هذا وصفه فإن الكدر

والحزن له بالمرصاد، فإنه إذا فاتته بعض الشهوات النفسية حزن، وإن أدرك ما أدركه منها ويكن على ما في خاطره من كل وجه حزن، وإن أراد منه ولده ومن يتصل به نفقة أو كسوة، واجبة أو مستحبة حزن، ولا تخرج منه إلا بشق الأنفس وإن خرجت منه خرج معها بضعة من سرور قلبه، لأنه يحب بقاء ماله ويحزن لنقصه على أي وجه كان وليس عنده من الاحتساب ما يهون عليه الأمر، إن كان غير بخيل، فإن كان شحيح النفس مطبوعاً على البخل فإن حياته مع أولاده وأهله والمتصلين به حياة شقاء وعذاب وأكدار متواصلة وأحزان مستمرة، لا إيمان عنده يُهون عليه النفقات، ولا نفس سخية لا تستعصي عن نيل المكرمات؛ فيا له من عذاب حاضر وعذاب مستمر، فأين هذا من ذلك الذي حصلت له الحياة الطيبة بأكملها؟ هذا كله بالنظر إلى هذه الأمور الثلاثة التي هي أصول اللذات عند العقلاء، قد اتضح لنا أن صاحب الإيمان الصحيح هو الذي فاز باللذات الحقيقية وسلم من المكدرات<sup>(١)</sup>.

### خاتمة المناظرة:

يقول الشيخ رحمه الله: فلما تلا النصيح لصاحبه هذه المواضع، وبرهن عليها، قال له المنصوح: والله لقد انجلى عني ما أجد في أول موضوع تلوته علي، وانزاح عني الباطل في شرحك الأول، وإن مجلسك يا أخي ونصيحتك بهذه الطريقة النافعة تعود عندي الدنيا وما عليها، فأحمد الله أولاً حيث قيضك لي، وأشكرك شكراً كثيراً حيث وفيت بحق الصحبة، ولم تصنع ما يصنع أهل العقول الذين إذا رأوا من أصحابهم ما يسوؤهم قطعوا عنهم حبل الوداد في الحال، وأعانوا الشيطان عليهم، فازداد بذلك الشر عليهم، وضاع بينهم التفاهم وإني لا أنسى جميل معروفك حيث رأيتني سادراً في المهامة مغروراً بنفسي معجباً برأيي، فأريتني بعيني ما أنا

(١) انتصار الحق (ص: ٢٦-٤٠).

فيه، وأوقفتني بحكمتك على الهلاك الذي وقعت فيه، فالآن أستغفر الله مما مضى  
وأتوب إليه، وأسأله الإعانة على سلوك مرضاته، وأفزع إليه أن يختم بالصالحات  
أعمالي، وأحمد الله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، فإنه مولِي النعم، دافع النقم، غزير  
الجود والكرم.... إلخ»<sup>(١)</sup>.

هذا بإجمال أهم ما كتبه الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه  
الله، في الرد على الإلحاد وأهله، وبيان الحق ونصره، حرصت على نقل كلامه فيه  
البيان والكفاية، وأشارت إلى منهجه في تلك الجهود بإيجاز العبارة.

(١) انتصار الحق (ص: ٤٤).





## الخاتمة

### وفيها أهم النتائج والتوصيات:

وبعد هذا التطواف في ميادين الشيخ: عبد الرحمن السعدي، وجهوده في الرد على الإلحاد وأهله، يطيب لي أن أسجل أهم النتائج والتوصيات، والتي كان من أهمها ما يلي:

- أهمية علم العقيدة وأنه من أولويات العلوم التي يجب على العامة والخاصة أن يبدؤوا به في تعلمهم.
- التأمل فيما منح الله الشيخ السعدي - رحمه الله - وفتح عليه، من جميل العبارة وأدب الصياغة وعمق المعني وفقه الواقع في زمنه، مما يجعل من أهم الوصايا الإقبال على تراثه والنظر فيه، والاستفادة منه علماً وعملاً.
- إعادة الطرح، والتنوع فيه، في بيان توحيد الربوبية والاهتمام به وإلقاء الضوء عليه جنباً إلى جنب توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك لمواجهة الإلحاد والملحدين.
- التأكيد على العناية بتوحيد الربوبية، سيما هذا الوقت، لوجود من ينازع الله في خلقه وتديبه.
- على الجامعات المعنية بتدريس العقيدة أن تخصص مادة لتعليم منسوبيها فن المناظرة والرد على المخالف.
- الاهتمام البالغ بالكتب المعتمدة لدى أهل العلم والتي ناقشت موضوع الرد على المخالف في مجال الاعتقاد.
- التحذير العام من الإلحاد والملحدين من خلال وسائل الإعلام الدعوية من منابر ومدارس وجامعات وقنوات وكتب وصحف ومجلات.

- على طائفة من طلبة العلم أن تعتنى بدراسة الفكر الإلحادي، واستقراء منهاجهم، والتصدي لحججهم، والرد عليهم.
- يظهر في ردود الشيخ رحمه الله: التزام الأدب والإنصاف في الرد على المخالف، وعدم التعدي عليه، والتزام الرد العلمي الرصين والحجة الدامغة، مع الشفقة عليه والدعاء له.

## فهرس المراجع

- انتصار الحق- المؤلف عبد الرحمن السعدي- الناشر: (PDF-).
- الآداب الشرعية والمنح المرعية- المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، المشهور بابن مفلح (المتوفى: ٧٦٣هـ)- الناشر: عالم الكتب.
- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين - المؤلف عبد الرحمن السعدي- الناشر- مكتبة المعارف.
- بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار- المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الكريم بن رسمي اللدري؛ دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن المؤلف: السعدي- الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- المؤلف: السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا - الناشر: مؤسسة الرسالة.
- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيس البابي الحلبي وشركاه.
- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة- المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر؛ الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- شذور ولطائف في آداب الرد على المخالف- المؤلف: حمد بن عبدالعزيز بن حمد بن عتيق.
- صحيح البخاري- المؤلف: البخاري: (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة.

- مجموع الفتاوى - المؤلف: ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) - المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.